Université de Paris-Sorbonne
2016-2017, L3ARAOLM

درس الأدب الحديث

Dr. Eric Gautier

LITTÉRATURE MODERNE

Références bibliographiques :

1 - DICTIONNAIRES UNILINGUES ET BILINGUES :

- D. Reig, Larousse, arabe-français – français-arabe, Larousse, Paris.
- J. N. Hajjar, Al-Marje' (arabe-français), Librairie du Liban, Beyrouth.
- Y. M. Rida, Al-Kâmil al-akbar, Librairie du Liban, Beyrouth.
- Dictionnaires unilingues modernes : المنجد أو الوسيط

2 – OUVRAGES CRITIQUES EN FRANÇAIS OU ANGLAIS :

- Allen R., 1982, *The Arabic novel, an Historical and Critical Introduction*, Syracuse University Press, New York.
- Deheuvels L.-W., 1995, « Le témoignage littéraire : roman et théâtre entre orient et occident », in Chevalier D. et Miquel A., *Les Arabes, du message à l'histoire*, Fayard, Paris.
- Hallaq B. (dir.), T. 1, 2007, T. 2, 2013, *Histoire de la littérature arabe moderne*, Sindbad/Actes Sud, Arles.
- Hassan, K. J., 2006, *Le roman arabe (1834-2004)*, Sindbad/Actes Sud, Arles.
- Jacquemond R., 2003, *Entre scribes et écrivains : le champ littéraire dans l'Egypte contemporaine*, Sindbad/Actes Sud, Arles.
- Miquel A., 1969, *La littérature arabe*, PUF, Paris (Que Sais-je? 1355). Il existe de ce "Que-Sais-je" une traduction arabe.
- Toelle (H.), Zakharia (K.), 2003, *A la découverte de la littérature arabe*, Flammarion, Paris (notre manuel).
- Tomiche N., 1981, *Histoire de la littérature romanesque de l'Egypte Moderne*, G. P. Maisonneuve et Larose, Paris
- Tomiche N., 1993, *La littérature arabe contemporaine : roman, nouvelle théâtre*, G. P. Maisonneuve et Larose, Paris
- Vial C., 1979, *Le personnage de la femme dans le roman et la nouvelle en Egypte*, de 1914 à 1960, Institut Français de Damas.

3 – ARTICLES :

- Encyclopedia Universalis : Articles de A. Miquel et J.-E Bencheikh sur la littérature moderne, article ARABE-Littérature arabe, pp726-731.
- Encyclopédie de l'Islam, Brill, Leiden, 2e édition : Articles 'Arabiyya, Nahḍa, etc. Rechercher systématiquement les articles consacrés aux auteurs étudiés et aux genres littéraires abordés.

4 – OUVRAGES EN LANGUE ARABE :

- عصفور جابر،١٩٩٩، زمن الرواية، المدى، دمشق.
- الفاخوري حنا، تاريخ الأدب العربي

5 – Les étudiants liront en cours d'année des œuvres littéraires intégrales qui seront proposées, dans la mesure du possible, avec leur traduction en français.

LITTÉRATURE MODERNE

Texte 1

نعم إن كلمة «نهضة» من المصطلحات الجديدة في اللغة العربية، وقد صيغت من مادة (ن. هـ. ض) لتنقل إلى لغة الضاد مضمون الكلمة الفرنسية Renaissance منظوراً إليه كـ «مشروع» مستقبل عربي. وهنا تكمن احدى المفارقات التي تحكم العلاقة بين الفكر الأوروبي ومفاهيمه والفكر العربي الحديث ومصطلحاته المترجمة. إن مصطلح Renaissance ويعني لغوياً: «ميلاد جديد» ـ لم يظهر في اللغة الفرنسية إلا مع بداية القرن التاسع عشر. هذا في حين أن «الميلاد الجديد» الذي يشير إليه قد انطلق من ايطاليا، ليعم أوروبا، في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، وهو يتمثل في قيام حركة تجديد واسعة وعميقة شملت الفنون والعلوم والآداب، حركة اعتمدت احياء التراث الاغريقي ـ الروماني، مما جعل منها حركة تجديدية بمعنى الكلمة، بل «ميلاداً جديداً» لقارة ظلت شبه ميتة طوال القرون الوسطى، وبكيفية خاصة في القرون «المظلمة» منها. وإذن فمصطلح Renaissance قد صيغ بعدياً، للتعبير عن شيء قد كان، عن واقع تاريخي محدد المعالم والصفات، كامل الوجود والمقومات. وكذلك الشأن في مصطلح Révolution الذي يحمل هو الآخر، في اللغة الفرنسية، بل في اللغات الأوروبية عموماً، مضموناً محدداً يرتبط بحدث تاريخي معين، هو الثورة الفرنسية (١٧٨٩) أو غيرها من الثورات في أوروبا وأمريكا... وهكذا فالمصطلحان في اللغات الأوروبية هما من أسماء الاعلام، وإذا ما أطلقا ليدلا على معنى «النهضة» أو «الثورة» بدون تخصيص، فإن هذا المعنى يظل مع ذلك مشبعاً غنياً، نظراً لارتباطه بنموذج واقعي معروف تمام المعرفة. أما في الفكر العربي الحديث والمعاصر فالمصطلحان يشيران، كما أبرزنا ذلك قبل، لا إلى واقع تحقق، بل إلى مشروع للمستقبل، يطرح على صعيد الذهن والوجدان كبديل عن الحاضر، ومن هنا كان التفكير في «النهضة» ـ أو «الثورة» ـ بحثاً عن مشروع، وتفكيراً في «نموذج» ويهمنا هنا أن نتعرّف على هذا النوع من «التفكير» من خلال الخطاب الذي يحمله، خطاب الفكر العربي الحديث والمعاصر حول «النهضة» و «السقوط».

* * *

لقد وجد العرب أنفسهم عند بدء يقظتهم في أوائل القرن الماضي ـ ولا زال الأمر كذلك إلى اليوم ـ أمام نموذجين حضاريين: الحضارة الأوروبية التي كان تحديها لهم ـ ثقافياً وعسكرياً ـ المهماز الذي أيقظهم وطرح مشكل «النهضة» عليهم... والحضارة العربية الاسلامية التي شكلت، ولا زالت تشكل، بالنسبة لهم، السند

الـذي لا بد منـه في عملية تـأكيد الـذات لمواجهـة ذلك التحـدي. ولما كـان النموذج الأوروبي قـد حمل إليهم، في آن واحـد: «الحريـة» والقمع (الايـديولـوجيا الليـبرالية والتدخل الاستعماري)، ولما كان النموذج العربي الاسلامي يقدم نفسه لهم عـبر قنطرة طويلة عريضة من الركود و «الانحطاط» فلقد كان لا بد أن يكون الاختيـار مصحوبـاً بنوع من التوتر النفسي، شبيه بذلك الذي يسميه علماء النفس بـ «التناقض الوجداني» (Ambivalence)، حيث تزدوج في آن واحد في وجدان نفس الشخص مشاعـر الحب والكراهية ازاء نفس الموضوع. ومن هنا تلك البطانـة الوجـدانية التي تجعـل الخطاب العربي في «النهضة» أو «الثورة» خطاباً متوتـراً يتميز بـه كل خـطاب يقوده الانفعـال والعاطفة: نقصد بذلك الحذف والاختزال تارة والابـراز والتضخيم تارة أخرى. إن التعامل نهضوياً ـ على صعيد الخطاب ـ مع النمـوذج الأوروبي يتطلب منهم السكـوت على الجانب الاستعماري فيه، وهذا «غير» ممكن لأن الاستعمار الأوروبي بالـذات يعوق نهضتهم، بـل يهدد وجـودهم.. وإذن فلا بـد من معـارضتـه بـل لا بـد من فضحـه ومقاومته. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن التعامل ـ نهضوياً كذلك ـ مع النموذج العـربي الاسلامي يتـطلب بدوره السكـوت عن قرون طـويلة من «الانحطاط» وهـذا السكـوت «غير» ممكن هو الآخر لأن قرون «الانحطاط» هذه جـزء من هـذا النمـوذج نفسه، وإذن فلا بد من حضورها، بكيفية أو بأخرى، في نفس الخطاب.

محمّد عابد الجابري (المغرب)
« الخطاب العربي المعاصر » ١٩٨٢

الدكتور محمد حسين هيكل

زينب

مناظر وأخلاق ريفية

الطبعة الثالثة

دار المعارف

مقدمة

نشرت هذه القصة للمرة الأولى فى سنة ١٩١٤ على أنها بقلم مصرى فلاح ، نشرتها بعد تردد غير قليل فى نشرها وفى وضع اسمى عليها ، فلقد بدأت كتابتها بباريس فى أبريل سنة ١٩١٠ ، وفرغت منها فى مارس سنة ١٩١١ ، وكان حظ قسم منها أن كتب بلندن ، كما كتب قسم آخر بجنيف أثناء عطلة الجامعة فى أشهر الصيف ، وكنت فخوراً بها حين كتابتها وبعد إتمامها ، معتقداً أنى فتحت بها فى الأدب المصرى فتحاً جديداً ، وظل ذلك رأيى فيها طوال مدة وجودى طالباً للحصول على دكتوراه الحقوق بباريس . فلما عدت إلى مصر فى منتصف سنة ١٩١٢ ، ثم لما بدأت أشتغل بالمحاماة فى الشهر الأخير من تلك السنة ، بدأت أتردد فى النشر ، وكنت كلما مضت الشهور فى عملى الجديد ازددت تردداً خشية ما قد تجنى صفة الكاتب القصصى على اسم المحامى . لكن حبى الفتىّ لهذه الثمرة من ثمرات الشباب انتهى بالتغلب على ترددى ، ودفع بى لأقدم الرواية إلى مطبعة « الجريدة » كى تنشرها ، وإن أرجأت نشر اسم الرواية ومؤلفها وإهدائها إلى ما بعد الفراغ من طبعها . واستغرق الطبع أشهراً غلبت فيها صفة المحامى ما سواها ، وجعلتنى لذلك أكتفى بوضع كلمتى « مصرى فلاح » بديلا من اسمى .

ولقد دفعنى لاختيار هاتين الكلمتين شعور شباب لا يخلو من غرابة ،

* صدّرت « زينب » بهذه المقدمة فى طبعتها الثالثة

وهو هذا الشعور الذى جعلنى أقدم كلمة « مصرى » حتى لا تكون صفة للفلاح إذا هى أُخِّرت فصارت « فلاح مصرى » . ذلك أنى إلى ما قبل الحرب كنت أحسّ – كما يحس غيرى من المصريين ، ومن الفلاحين بصفة خاصة – بأن أبناء الذوات وغيرهم ممن يزعمون لأنفسهم حق حكم مصر ينظرون إلينا جماعة المصريين وجماعة الفلاحين بغير ما يجب من الاحترام . فأردت أن أستظهر على غلاف الرواية التى قدمتها للجمهور يومئذ ، والتى قصصت فيها صوراً لمناظر ريف مصر وأخلاق أهله ، أن المصرى الفلاح يشعر فى أعماق نفسه بمكانته ، وبما هو أهل له من الاحترام ، وأنه لا يأنف أن يجعل المصرية والفِلاحة شعاراً له يتقدم به للجمهور ، يتيه به ويطالب الغير بإجلاله واحترامه .

* * *

« زينب » إذن ثمرة حنين للوطن وما فيه ، صورها قلم مقيم فى باريس مملوء مع حنينه لمصر إعجاباً بباريس وبالأدب الفرنسى . وهى ثمرة الصبا بما للصبا وللشباب من قوة وضعف ، وتوثب واندفاع ، وشعور سام لا يحدّه مدًى ، ومخاوف وآمال لا تزال تخالطها آثار السنين الناعمة الأولى . والصبا والحنين للوطن مقدسان . . لذلك رأيت فرضاً على أن أترك « زينب » فى طبعتها الثالثة كما هى يوم كتبت ويوم نشرت طبعتها الأولى ثم الثانية إلا ما كان من خطأ مطبعى أو ما هو فى حكمه . ولعلى لو حاولت فيها تحويراً لما استطعت إلا أن أستطيع استعادة الصبا والحنين . وأنَّى للصبا أن يعود ؟ ! وأنَّى للحنين الأول أن يعاود النفس مثله حنين ؟ !

محمد حسين هيكل

فإن أنت تابعت سيرك ، واتبعت الصوت حتى صرت على مقربة منه ، رأيت فى البحر اللجىّ من شعاع حائر فى السماء الأطفال والفتيات وقد انثنوا فقبضوا بشمالهم على سيقان القمح النائم بعضه فوق بعض كأنه نشوان طرب بتلك العوامل الكثيرة التى تبعث إلى قلب المحزون ما يستخفه ويستهويه . وباليمنى على شراشرهم – تلك نصف الدائرة الحديدية التى وعت عهد فرعون وتسللت مع الزمان إلى عصرنا الحاضر .

وتصل عند العمال فإذا زينب بين الجمع فى الطليعة ، وقد انسدل

إلى جانبها جناحان من العاملات ، وكلهن فى جدهن وعملهن يرددن حداءها بعد أن حمله الهواء على موجاته ونادى به الليل الصامت فى كل الأنحاء ، والقمر قد انحدر إلى المغيب ينظر إليها نظرة الصبّ قد ناله الشحوب فهو ذاهل فى نشوته . وأحاطت بذلك غيطان القطن الأخضر ما يزال طفلا .

ها هى ذى زينب فى تلك السن ترنو إليها الطبيعة وما عليها بعين العاشق ، فتغض طرفها حياء ، وترفع جفونها قليلا قليلا لترى مبلغ دلها على ذلك الهائم ، ثم تخفضها من جديد ، وقد أخذت مما حولها ما ملأ قلبها سروراً ، وأضاف إلى جمالها جمالا ورقة ، فزاد الوجود غراماً بها وزادها به تعلقاً ووجداً . وهكذا كلما اجتلى أحدهما من صاحبه نظرة ذهبت منه إلى أعماق النفس فانطبع الكل فى قلب الفتاة ، وتوجت الفتاة حياة الوجود المحيط بها . فهل قنع كل منهما بحظه ورضى نصيبه ؟ !

أما الوجود فقانع راض أشيب ، علمه تعاقب الدهور أن الاسترسال فى تحديد الغاية بخطوط الخيال جرى إلى حيرة اللانهاية ، وأن كسب الحاضر حتى يحضر المستقبل أوفر الربح . وأما الفتاة فهى فى سعادتها حيرى تائهة ، وفى حيرتها سعيدة فرحة . أحست فى نفسها بمكانتها ، ولكنها تريد أن تختص من الكل العظيم غير المحدود روحاً إنسانية تختلط مع روحها ، ونفساً تسيل مع نفسها ، ثم يظل الباقى وبينها وبينه من الصداقة ما يزيد فى حظهما من السعادة . ذلك كل حلمها وأملها وإن لم تستعجل به الزمان ، ولا خطر ببالها أن فى طاقة الحوادث أن تمنع تحقيقه .

فإذا ما تنفس الصبح ، وطلعت الشمس وبعثت بنورها على البسيطة ، وتلألأ الطلّ تحت أشعتها ، ثم بلغ به الإعجاب بنفسه أن لم يرض بمقامه السفلى ، وطار يطلب السماء ، فترك عيدان القمح ترجع إليها صلابتها – تعاون العمال جميعاً على جمع ما حصدوا وأعدوه أحمالا ، وانتظر بعضهم الجمل الذى ينقلها إلى الجرن ، فى حين يرجع الآخرون أدراجهم إلى دورهم ، فيقضون نهاراً قليلا نومه مشتغلين بتجريد بهائمهم التى تنتظر أيام الحرث القريبة . وهناك على شواطئ الغدران والترع يقضون ساعات نياماً تحت الشجر تعوضهم من كدّهم لعمل الليل المقبل .

وتقضّت أيام الحصاد هى الأخرى ، وانتقلوا لعمل جديد . واستعاضوا بذلك مكان الليل المقمر ونسيمه العذب وآماله وأحلامه نهار الصيف وشمسه المحرقة .. ولكنهم ما كانوا ليحسوا بذلك أو ليألموا له وقد تعودوه كما تعوده آباؤهم من قبلهم . تعودوه من يوم مولدهم ، فانتقل إليهم بالوراثة وبالوسط . وتعودوا ذلك الرق الدائم ينحنون لسلطانه من غير شكوى ومن غير أن يدخل إلى نفوسهم قلقاً . يعملون دائماً ومن غير ملال ، ويرقبون بعيونهم نتائج عملهم زاهرة ناضرة ، ثم يقطف ثمرتها سيد مالك كم فكر فى أن يبيع قطنه بأغلى ثمن ، ويؤجر أرضه بأرفع قيمة ، وفى الوقت عينه يستغل الفلاح نظير قوته الحقير ، ولم يدر بخاطر السيد يوماً أن يمد له يد معونة ، أو أن يرفعه من درك الرق الذى يعيش فيه . وكأنه ما علم أن هذا المجموع العامل يكون أكثر نفعاً كلما زادت أمامه أسباب المعيشة وتوافرت عنده دواعى الطمع فى أن يحيا حياة إنسانية .

لكن السيد المالك لا يهمه شىء من ذلك . وهو الآخر يعيش كما

عاش آباؤه ، يحافظ على القديم ، ولا يفكر فى أن يغير من عادات سلفه شيئاً . وإذا حدّثك عن الماضى حدّثك عنه باحترام وتبجيل آسفاً أن انتقل أجر النفر الشغال أيام الشتاء من قرش إلى قرشين ، وتمنى عودة ذلك الزمن زمن البساطة والرخص ، لا لأنه يشكو مما يثقل عاتقه فى الحاضر من الواجبات – فإنه يرى الحاضر أحسن كثيراً من هذه الجهة – ولكن لتسقط الأجور إلى مستواها الأول ، فيكون هو بذلك أوفر ربحاً ، ويبقى العامل والفلاح لذلك فى ظلمته وفى رقه وشقائه .

Texte 3
زينب (٢)

* * *

ودخلتا معاً حتى كانتا على السطح أمام الغرفة ، فاستندت زينب إلى حائطها ، وجلست إلى جانبها أمها . ونظرت هذه الأخيرة فى عين ابنتها وكلها الحنان فوجدت تلك النظرات التى عرفتها جاذبة فتّاكة قد استحالت نظرات استعطاف واسترحام ، وكما كانت تصل إلى القلب فتذره أسيراً مكبلا كذلك هى الآن تنظر إليه فيرق دون نظراتها ولا يستطيع إلا أن يجيبها لكل ما تطلب . ولقد أحست الأم أمامها بضعف حتى كادت تستغفر ابنتها عن غير ذنب تعلمه . وبعد مدة صامتة رجعت فسألتها عن حالها .

فاض عن قلب زينب ما تكنّ لذلك الغائب فى مجاهل السودان ، وأرادت أن تبوح بماتكنّ لأمها . لكن ماتخيّلته فى ذلك من موضع للوم أدخل التردد إلى نفسها . لا بد لأمها متى سمعتها تقول مثل هذا الكلام أن تجيبها عليه بتقريع لا تحب أن تواجه به ، وإذا كان الموت القريب ينتظرها فلتنتظره هى الأخرى هادئة مطمئنة حتى يجىء فينقلها إلى عالم لا عذاب فيه ولا حزن ، بل كله سكون وهمود وفناء أخير . ولكن ! أليس على أبويها الذنب فى زواجها هذا ويجب أن تبين لهما عنه .

وبعد هذا التردد شجعت نفسها وأجابت أمها حين سألتها مرة ثانية عن حالها : حالى زى ما انت شايفة . . . بدى أموت قريب وكله من تحت ايديكو . فضلت أعيط وأقولك يا أمه ما بديش أجوز تقولى لى كل الناس أبوهم بيجوزهم على غير كيفهم وبعدين يصبحوا ويا جيزانهم زى العسل . أدينى ويا جوزى زى العسل ما قلتش حاجة . ولكن أدينى حاموت وتخلص العيشة اللى بيننا وبين بعض . . بكره والا بعده حاموت يامه ووصيتكو إخواتى لما تيجواتجوزوا حد منهم ماتجوزهمش غصب عنهم لحسن دا حرام .

ثم لم تستطع الاستمرار فى القول ، إذ خنقتها العبرة ، وامتلأت بالدمع عيناها ، وأمها إلى جانبها ترى وتسمع فينفذ إلى قلبها من الألم سهم تتقد له ضلوعها ولا تطيق أن تنطق بكلمة أو أن تحير جواباً . وهكذا سكتت المرأتان ، وظل المكان حولهما تتمشى فيه آيات الحزن الصامته فتزيده عبوساً وحزناً .